AL-TAKAMUL AL-MA'RIFI | DECEMBER 2024 | VOL. 7 ISSUE 2
ISSN: 2716-6899 | E: ISSN: 2716-6902
http://devojs.usas.edu.my/altakamul/index.php/altakmulfiles

التهاجر بين المسلمين: بواعثه وآليات التعامل معه وسبل الوقاية منه دراسة على واقع العالم الإسلامي المعاصر

THE ABANDONMENT AMONG MUSLIMS: CAUSES, MECHANISMS OF DEALING WITH IT, AND PREVENTION METHODS A STUDY ON THE CONTEMPORARY ISLAMIC WORLD REALITY

Al-Qasemi Tawfik Abdulrahman Qasem
Fakulti Pengajian Islam dan Sains Sosial, Universiti Sultan Azlan Shah,
33000 Bandar DiRaja Kuala Kangsar, Perak, Malaysia.
Email: tawfeeq534@gmail.com

الملخص

يعيش المجتمع المسلم حالة من الانقسام والقطيعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمة الإسلامية، ولا تكاد تجد مظهرا يجمع المسلمين ويوحدهم، ووصل الحال بالمسلمين إلى أسوأ حالات الضعف، وجاء هذا البحث بهدف الوقوف على حقيقة الهجر، وبيان بواعثه وآثاره، واستخلاص وسائل الوقاية، وكذلك استعراض نماذج صور التهاجر التي يعاني منها العالم الإسلامي المعاصر، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع النصوص والآثار الواردة في الهجر، وقد توصل البحث إلى أن الهجر الممنوع هو ما يكون دافعه الانتقام للنفس وأن بواعث التهاجر قد تكون ذاتية ناشئة عن اختلال قيمي في الشخص، وقد تكون نتيجة لعوامل خارجية، كما أكد البحث على أهمية تفعيل الوسائل الشرعية والأساليب التربوية لدفع الخلاف والحد من آثاره السلبية على المستوى الفردي والجماعي.

كلمات مفتاحية: تهاجر، المسلمين، بواعث، وقاية، واقع، معاصر

Abstract

The Muslim community experience a state of division and estrangement that is unprecedented in the history of the Islamic nation. There is hardly any manifestation that unites and unifies Muslims. The situation of Muslims has reached the worst state of weakness. This research aims to identify the reality of abandonment, explain its motives and effects, extract means of prevention, and review examples of the forms of abandonment that the contemporary Islamic world suffers. The researcher followed the descriptive analytical approach by following the texts and effects mentioned in abandonment. The research concluded that the forbidden abandonment is driven by personal revenge, and that the motives for abandonment may be subjective and arise from an imbalance in the person, or potentially the result of external factors. The research also emphasized the importance of activating legitimate

ISSN: 2716-6899 | E: ISSN: 2716-6902
http://devojs.usas.edu.my/altakamul/index.php/altakmulfiles

means and educational methods to prevent disagreement and limit its negative effects on the individual and collective levels.

***Keywords**: migration, muslims, motives, prevention, reality, contemporary*

مقدمة

تمر الأمة الإسلامية بحالة من الضعف والتفرق وتعيش داخلياً في واقع مشحون بالعدوات والاقتتال، وخارجياً في حالة من ضعف المكانة وهيمنة الأعداء على قرارها السياسي والاقتصادي، ويُعدّ التهاجر أبرز مظاهر الفرقة وأحد أهم أسباب الضعف، ومن هنا جاءت الحاجة لطرق موضوع الهجر وبيان مفهومه وبواعثه وآثره، واستخلاص أهم الوسائل للتعامل معه على المستوى الفردي والجماعي. والإسهام في إيجاد بعض الحلول للحد من وقوع التهاجر، وبتتبع ما كتب في الموضوع وقف الباحث على بعض الدراسات ومن أهمها:

1- الهجر الشرعي ما يحل منه وما يحرم لابن تيمية.
2- أحكام الهجر والهجرة في الإسلام للمؤلف أبو فيصل البدراني2006م.
3- أحكام الهجر في الفقه الإسلامي بحث محكم للباحث: ردينا إبراهيم الرفاعي2009م.
4- الهجر في الكتاب والسنة للمؤلف مشهور حسن سليمان2017م.

وقد وجد الباحث أن تلك الدراسات تقتصر في الأغلب على بيان أنواع الهجر وعرض الأحكام الشرعية المتعلقة بها، وما يقصد به هذا البحث هو عرض الهجر بوصفها مشكلة مجتمعية من خلال الإشارة إلى آثاره السلبية وانعكاساتها على واقع الحياة، وتحليل أسباب الهجر وبواعثه على المستوي الشخصي والجماعي، ومن ثم تقديم بعض الوسائل والآليات لتعامل مع الهجر وسبل الوقاية منه، وربط ذلك بواقع التهاجر الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم.

المطلب الأول: مفهوم الهجر وحكمه

الفرع الأول: مفهوم الهجر

أولاً: مفهوم الهجر في اللغة: (الهَجرُ) بالفتح يقصد به ضد الوصل، يقال هجره يهجره هجراً، والهجر بالضم (الهُجرُ) هو القبح والفحش في المنطق (Ibn Faris, 1979). قال الراغب الأصفهاني: "الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره بالبدن، إما باللسان وإما بالقلب" (Al-Asbahani, 1971).

ثانياً: الهجر في الاصطلاح: يراد بالهجر السلبي: "مقاطعة الإنسان لغيره بدافع الكراهية والحقد يقول ابن رجب الحنبلي: "والهجران: هو أن يولّي الرجل صاحبه دبره ويعرض عنه بوجهه، وهو التقاطع" (Al-Hanbali, 2008). يقول الحافظ العيني:

"الهجر مفارقة كلام أخيه المؤمن مع تلاقيهما، وإعراض كل منهما عن صاحبه عند الاجتماع" (Al-Ayni, 2002) .فالمقاطعة هنا لا يراد بها خيراً للمهجور وإنما يراد بها الانتقام والإغاظة وما شابه ذلك من عتب ومَوْجِدَةٍ أَو تقصير يقع في حقوق العِشْرَة والصُّحْبَةِ المجالسة، وعدم المكالمة، وبسط الوجه للمهجور (Ibn Hajar Al-Asqalani, 1998). من خلال ما سبق تبين لنا أن الهجر الممنوع هو ما يكون دافعه الانتقام وحظ النفس وما كان مجرداً من المقاصد الشرعية الحسنة، وأريد به الإضرار والأذى النفسي والبدني للمهجور.

الفرع الثاني: حكم الهجر وأدلته

أولاً: حكم الهجر: يكون الهجر محرماً إذا كان دافعه البغضاء والشحناء وليس له مبرراً شرعياً وتجاوز المدة المحددة شرعاً وهي ثلاثة أيام (Al-Munawi, 2001).

ثانيا: الأدلة : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ (Al-Bukhari, 22535). حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ (Al-Bukhari, 5727). حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ومن وفي رواية إلا المتهاجرين (Muslim, 2565).

المطلب الثاني: بواعث التهاجر

للهجر أسباب وبواعث متعددة، فبعضها يرجع الى الشخص وطباعه، بحيث تنعكس سلباً على علاقته بالناس، وبعض منها يرجع لمسببات خارجية فكرية وطائفية أو مكائد عدائية تهدف إلى إحلال الشقاق داخل المجتمع المسلم وفي هذا المطلب سنتطرق إلى بعض منها على النحو التالي:

الفرع الأول: البواعث الذاتية للتهاجر

تتفاوت النفس الإنسانية في قيمها، فإذا أهملت عن التربية والتزكية تطبعت بصفات ذميمة من الأنانية والبغضاء وسوء الأخلاق مما يجعل من التعايش مع الآخرين في غاية في الصعوبة، فيترتب على ذلك سوء تعامل ثم قطيعة وهجر وعداوة ومن هذه الأسباب ما يلي:

أولاً: الفراغ القِيَمي: المقصود بالفراغ القيمي هو خلو الشخص من القيم النبيلة وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى والرغبة بما عنده، فعندما تكبر الدنيا في القلب المسلم ويتعاظم حرصه عليها تدفعه إلى العداوة والقطيعة، فخلو الإنسان من الإيمان يجعله عرضة للاستجابة لنزعات الشيطان وغرائز الشهوات قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (Al-Ma'idah, 5: 91). فالعداوة هي السلاح الأقوى للشيطان لزرع الشر فمن يمتلئ عداوة وكرهاً سوف يظلم ويقتل ويفْجر لذلك يؤكد القرآن الكريم على مبدأ التقوى والمراقبة عند التعامل مع الآخرين فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (Al-Ma'idah, 5: 8) .وفي مواضع كثيرة يتعرض مشابه لبيان الخصومات في المجتمع أو داخل الأسرة نجد أن الله سبحانه يستحث ضمائر المؤمنين بمراقبته واستشعار علمه واطلاع سبحانه على كل صغيرة.

ثانياً. النزعة التسلطية: الزعامة والتصدر آفة مدفونة في صدر كل إنسان، تتفاوت في ظهورها من شخص لآخر بحسب ورع الإنسان ومعرفته وتكون أكثر مع مظاهر القوة والغنى قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (Al-Alaq, 96: 6) .فعندما يتملك الإنسان أسباب القوة من المكانة والسلطة أو المال والثراء نزعت نفسه للإعراض عن الناس، فلا يخفى ما يترتب على ذلك من تأجيج في القلوب بالكراهة والغيظ، والواقع حافل بالكثير من الشواهد في علاقة حب تحولت إلى جفاء وبغض، وأخوة ووصل أعقبها فرقة وهجران. فالفجوة الكبيرة بين الأقوياء والضعفاء وبين الأغنياء والفقراء، وبين الحكام والمحكومين، ترجع إلى ما يعتري العلاقة من استعلاء على الآخر وإظهار القوة عليه فالإنسان بطبعه لا يحب من ينتقص كرامته، ويكره من يتسلط عليه كائناً من كان.

ثالثاً: الجهل وقلة الوعي: المجتمع الذي يغلب فيه الجهل يعج بالصراعات والنزاعات، يقطع المسلم أخاه ويهتك حرمته لأتفه الأسباب، بل قد يصل الأمر إلى القتل وإزهاق الروح واستباحة المال، فالجاهل ليس له دراية بآلية التواصل الفعال، كما لا يمتلك المهارة لحل مشاكله عن طريق الحوار، فيلجأ إلى العنف في التعامل مع أي خلاف، وتكون يده إلى الحل أقرب من عقله ولسانه، فقد تجد الخلاف داخل الأسرة في إطار الزوج والزوجة، وبين الجار وجاره، والشريك وشريكة. وفي المقابل نجد أن المجتمع المتعلم الواعي تقل فيه الخصومات، فكل فرد يعلم ما يتعين عليه فعله وما ينبغي تركه والجميع خاضع للنظام والقانون، فتخف مظاهر الخصام والقطيعة، ويحل مكانها الاحترام والوئام.

رابعاً: الحسد: هو تمنّي زوال النِّعمة عن الغير، وهو في جوهرِه اعتِراضٌ على عطاء المنعم سبحانه وتعالى. يقول ابن القيم: أصل الحسد: هو بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها (Ibn al-Qayyim, 1995). والحسد أحد أهم أسباب التقاطع والتهاجر والتمزق الاجتماعي، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ وَهِيَ الْحَالِقَةُ، لَيْسَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ لَكِنْ حَالِقَةَ الدِّينِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا،

أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ أَظُنُّهُ بِمَا يَثْبُتُ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ (Al-Bayhaqi, 2232) .فالحسد صفة ذميمة لا تتخلق بها إلا النفوس المريضة التي لا تحب إلا العيش منفردة والاستئثار على غيرها.

الفرع الثاني: البواعث الخارجية للتهاجر

قد تكون أسباب الهجر والتقاطع ليست بدوافع داخلية، كما مرَّ معنا، بل قد يأتي من عوامل خارجية قد تكون مقصودة ومدبرة لإثارة الخلاف بين المسلمين، ويكون التهاجر حينئذ أشد خطورة، وذلك لأنه يخرج من دائرة الأشخاص إلى الجماعات والطوائف والدول، كما أن المبررات أكثر تسويغاً بحيث يتم الهجر تحت شعارات ولافتات دينة أو عوائد قبلية وما شابه ذلك من الخدع التي قطعت شمل الأمة ومزقت أوصالها ولا مستفيد منها سوى أعداء الأمة والطامعين بثرواتها، وفيما يلي سنقف على بعض من تلك الأسباب على النحو التالي:

أولاً: التعصب بمختلف المجالات: وهو شعور داخلي يجعل الإنسان يرى نفسه دائماً على الحق والآخر على باطل بلا حجة أو برهان. ويظهر هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف متزمتة تحتقر الآخر ولا تعترف بحقوقه. "فالمتعصب لا يرى الواقع على حقيقته لأنه أغلق على نفسه منافذ المعرفة والوصول إلى علوم الآخرين ومعارفهم، والاستفادة من خبراتهم". (Al-Haddad, 2013). لذلك حارب الإسلام كل أشكال التعصب كالتعصب للعرق والجنس واللون فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (Al-Hujurat, 49: 13).كما حارب التعصب الفكري للأديان والجماعات ودعا إلى اتباع الدليل والبرهان فقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (Al-Baqarah 2: 111). ونهى عن الاتباع بغير علم بقوله:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (Al-Isra, 17: 36). الأخطر في الأمر أن المتعصب لا يقف عند حد اعتقاد الصواب والأفضلية بل يتجه إلى إخضاع الآخر لرأيه وإلزامه به، واستباحة عرض المخالف وهجره وقطع أواصر الإخاء معه وواقع المسلمين مليء بذلك نسأل الله السلامة والعافية.

ثانياً: المكائد والمؤامرات الخارجية: يعمل أعداء الأمة الإسلامية على إثارة الخلافات وتوسيع الهوة بين مكونات المجتمع المسلمين لعلمهم بأنه لا مقدرة لهم على المسلمين إلا متفرقين ولذلك دأب اليهود من أيام الإسلام الأولى بالسعي إلى تأجيج الخلاف وإذكاء الصراع القديم بين المهاجرين والأنصار، ولا تزال هذه الصنعة هي شأن اليهود وأعداء المسلمين إلى اليوم، وقد جرب الغرب احتلال البلاد الإسلامية والسيطرة عليه عسكرياً ولكنهم فشلوا في وذلك ودفعوا أثماناً باهظة، فلجؤوا إلى تفريق الأمة إلى دول وجماعات وطوائف وأحزاب تحت شعار "فرق تسد" دعمت النزعات القومية وتمكنت من فصل المسلمين العرب عن غيرهم من الشعوب، ثم بدعوى الطائفية فقسمتهم إلى شيعة وسنة، ثم عمدت إلى تقوية شوكة الأقليات ودعمها بالمال والسلاح وشكلت منها بؤرا للتخريب وشجعت بعضهم على النيل من بعض حتى أصبح الحال على ما هو عليه اليوم من الفرقة والقطيعة والحروب الطاحنة.

ثالثاً: غياب الهيئات المتخصصة في الصلح. أشار الله سبحانه إلى آلية واضحة للتعامل مع الفرقة والاختلاف يشترك فيها الدولة والمجتمع فقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (Al-Hujurat, 49: 9). فإن لم تخضع إحداهما وأبت إلا العدوان فيجب على الجميع الوقوف ضدها حتى تخضع للحق وتمتثل للصلح قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (Al-Hujurat, 49: 9). هذا الإجراء لا يمكن أن يقوم بجهود شخصية ولا بد أن تتبناه مؤسسات ذات سلطة وردع ترعاها الدولة، فالمحاكم الشرعية لا يمكن أن تقوم بهذا الواجب إذ أن المحاكم تأخذ إجراءات طويلة وتتعامل بالترافع القضائي المعروف، بعكس هيئات الصلح التي تهدف إلى التراضي والتسامح والعفو. هذا النوع من الهيئات يعتبر شبه مفقود وما وجد منها فهو غير مفعل بشكل يفي بالحاجة، وثقافة الصلح إلى الآن لا تزال ضعيفة في حين أن التاريخ والواقع يشهد بأن كثيرا من الشعوب جعلت من التصالح نهاية لحروب استمرت لقرون طويلة كما حدث في أوربا وغيرها، في حين لم نر تصالحاً واحدا نجح في إحداث استقرار وأمان في العالم الإسلامي المعاصر.

المطلب الثالث: وسائل الوقاية من التهاجر وآليات التعامل معه

لما كان للهجر آثار كبيرة على الفرد والمجتمع المسلم؛ كان لا بد من إيجاد وسائل للحد منه، فالشرع الإسلامي لا يترك الأمور الخطيرة بدون أن يوجد سبلا للوقاية منها، وللوقوف على ذلك سيتم تناولها على وفق التالي:

الفرع الأول: وسائل الوقاية من الوقوع في التهاجر

أولاً: الوسائل الشرعية. والمقصود بها الأحكام والأوامر التي تهدف إلى تأليف القلوب وإزالة أسباب البغضاء من الأفعال والأقوال وهي كثيرة سنقف على بعضها:

1. القول الحسن: يوجه القرآن في مواضع عديدة بتحري حسن القول ولطيف العبارة لما في ذلك من أثر بالغ على المخاطب وتقوية روابط الاحترام والأخوة فقال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (Al-Baqarah, 2: 83). وهذا لعموم الناس على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وكل ما تقاربت الأواصر ازاد التأكيد عليه؛ فمخاطبة الوالدين والعلماء وكبار السن يجب أن تكون ألطف وأكثر احتراما، وذلك مراعاة لنفسياتهم وإظهاراً لمكانتهم قال الله تعالى عن الوالدين: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (Al-Isra, 17: 23). والحكمة من ذلك أن للألفاظ تأثيراً كبيرا على النفوس سلباً أو إيجابا، فالشيطان يجد فيها مدخلا ليزرع الخلاف يقول الله سبحانه: ﴿وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الّتِي هي أحسَنُ إنّ الشَيطَانَ يَنَزَغُ بَيَنَهُم إن الشَيطَانَ كَانَ للإنَسانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ (Al-Isra, 17: 53).

2. التواضع ولين الجانب: قال الله تعالى لنبيه الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (Al-Imran, 3: 109). بينت الآية أن التواضع ولين الجانب سبب لتآلف القلوب ومحبتها، وأن الغلظة والقسوة سبب للقطيعة والبغضاء، فمن فطرة الإنسان النفور والكره لمن يتكبر عليه وينتقصه، والرفض لمن يقسو عليه، والله سبحانه

يريد أن تكون العلاقة بين المؤمنين قائمة على المحبة والتراحم، والتعاون والتآلف لذلك حضَّ في أكثر من آية على التعامل بالرفق واللين قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (Al-Syu'ara, 26: 215). وقال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (Al-Fath, 48: 29). ويرسم النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ملامح شخصية المؤمن في هذا المجال بقوله: ألا أخبركم بمن يحرم على النَّار، وبمن تحرم النَّار عليه؟ على كلِّ هيِّن لينٍ قريب سهل (Ibn Hanbal, 1997). يشير الحديث إلى البساطة والتواضع والقرب من الناس وعدم التعالي عليهم لما في ذلك تآلف، فالتباين الحاصل في المجتمع وتقسيمه إلى شرائح بحسب الحالة المادية، والتفريق في التعامل بناء على ذلك يسهم في تقويض أسس التعايش ويشجع على العدوانية.

3. إفشاء السلام: والمقصود نشره وإظهاره والإكثار منه، وهو من الأمور التي تجلب المحبَّة وتنشُر المودَّة بين النَّاس، فقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ (Muslim, 84). والسلام واجب على المسلم يبذله للقريب والبعيد، مَن عرف ومَن لم يعرف؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع: بعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعَوْن المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المُقْسِم (Al-Bukhari, 6235). فكم دفع السلام من شر وكم حل من خيرات وبركات وكم وُصلتْ به من أرحام وفي المقابل كم حلَّ من نكَد وبَلاء، وبُؤْس وشقاءٍ، وقطيعة رحِم، وإدْبار وتنافُرٍ بسببِ ترك السلام (Al-Adawy, 2012).

4. العطاء والهدايا. ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال :تَهَادُوا تَحَابُّوا (Al-Bayhaqi: 2230). فتبادل الهدايا والهبات له أثر كبير في تودد القلوب وتقوية العلاقات، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهدي، ويقبل الهدية، ويثيب عليها ويرغب فيها، وكان يقول: لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أو كراع لَقَبِلْتُ (Al-Bukhari, 2586). والكراع: مستدق الساق من الغنم والبقر العاري من اللحم قال ابن بطال:" حض منه لأمته على المهاداة، والصلة، والتأليف، والتَحابِ، وإنما أخبر أنه لا يحقر شيئاً مما يُهدى إليه أو يدعى إليه" (Ibn Battal, 1998). وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الهدية من خير الأعمال عند الله، وأنها تعدل في أجرها عِتق الرقبة، فعن البرآء بن عازب . رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من منح منيحة ورق أو منيحة لبن، أو هدى زقاقا كان له كعتق رقبة (Ahmad, 18572).

5. التحكم بردة الفعل. الغضب كجمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدمَ، فإن كان قويًّا ملك نفسه، وإن كان ضعيفًا غلبه الغضب، وحينئذ قد يتكلم بكلام يندم عليه، أو يفعل فعلاً يندم عليه؛ فالغضب ينتج عنه أحيانًا مفاسد عظيمة، وهو مفتاح الشرور، ربما سبَّ الإنسان نفسه أو سب دينه، أو سب ربه، أو طلَّق زوجته، أو كسر إناءه. وعنه يتولَّد الغِلّ والحِقد والحسد. فمن الواجب على المسلم أن يبعد نفسه عن الغضب، ويذكرها بفضل كظم الغيظ، وتحليتها بالحلم والأناة، وقد صحَّ عن رجل مِن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"، قال الرَّجل: ففكرتُ حِينَ قَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ (Al-Bukhari, 1965). وقد بين لنا

النبي الكريم صلى عليه وسلم أن قوة الإنسان الحقيقة تكمن في سيطرته على النفس وقت فورة الغضب، وليست القوة في البطش فقال: ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ (Al-Bukhari, 1965).

ثانياً: الوسائل التربوية.

إضافة إلى ما مر من الوسائل الشرعية يأتي دور الوسائل ذات الطابع التربوي، وهي مستوحاة من مقاصد النصوص وكليات الشريعة الإسلامية وأثبتت التجارب فاعليتها في إشاعة التآلف وتضييق فرص الخلاف والنزاعات من خلال إجراءات وخطوات عملية على النحو التالي:

1. الوضوح والشفافية: الوضوح في التعامل مع الآخرين عامل مهم لتجنب الخلافات على المستوى الشخصي والجماعي فالغموض وعدم الشفافية سبب لحدوث الشك وسوء التفاهم الذي بدوره يفضي إلى النزاع والقطيعة، لذلك حث الإسلام على الوضوح في التعامل واعتبره مقصداً في كثير من المعاملات ولاسيما المالية منها، وأبطل كل معاملة يكتنفها الغموض وهو ما يعرف "بالغرر والجهالة" تجنبا للخصام والخلاف الناتج عما يطرأ من تغييرات بعد التعاقد؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا (Al-Bukhari: 1947). ويجب ألا يُهمل أي تفصيل مهما صَغُر في المعاملات فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ (Al-Baqarah, 2: 282). والغرض من ذلك ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ (Al-Baqarah, 2: 282). فالخفاء يورث الريب والشك. والثقة وحدها لا تكفي لدفع الشك وسوء الظن؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم في القصة المشهورة عندما رآه بعض أصحابه في ظلام الليل مع بعض نساءه، فنادهما فقال: تَعَالَيَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ"، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ" :إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا (Al-Bukhari, 2048). بين لهم من تكون تلك المرأة حتى يسد الباب أمام وساس الشيطان. وهذا أيضاً ما تقره النظم الإدارية الحديثة أن كل ما كانت المهام والمعايير والشروط واضحة كل ما استقرت المؤسسات وقلت نسبة الخلاف والنزاع بين الإدارة والعاملين.

2. الحوار البناء: الحوار وسيلة حضارية في حل النزاعات والخلافات، ويساهم بقوة في تعزيز الروابط الأخوية والتآلف بين الناس ونشر المحبّة بينهم، كما أن غيابه يعني اللجوء إلى القوة والعنف. فالحِوار يسهل الوصول إلى الحقيقة، ويقلل من حدّة الخلاف القائمة بين الأفكار، ويقلّص الفجوة بين الطّرفين المختلفين، بل قد يتطوّر ذلك إلى تبنّي أفكار المخالِف، وتغير المواقف المعادية إلى صديقة. فكما قيل إن الجلوس على طاولة الحوار مع صدق النية يعتبر نصف الحل. ولقد اعتمد القرآن الحوار كمنهج أساسي في إيصال رسالته للناس فحاور الكفار وأهل الكتاب وغيرهم كما أمر النبي الكريم أن يكون الحوار منهجه فقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (Al-Nahl, 16: 125).

3. التركيز على الجوانب المشتركة: نسبة القضايا التي يختلف فيها المسلمون إلى ما يتفقون فيه تعتبر ضئيلة، فالمسلون يجمعهم نبيٌّ واحد وكتاب واحد ومصير واحد، يتحدون في الأفكار والعقائد، تجمعهم العبادات والشعائر. هذا من جانب كما أن جميع البشر لديهم قضايا وقيم مشتركة يمكن الاجتماع عليها. إلى جانب ذلك توجد فوارق طبيعية بين الناس في أذواقهم ورغباتهم وطريقة تفكريهم وتقديرهم قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ (Hud, 11: 118). فالخلاف سنة كونية، إلا أن التعاطي معه هو ما يحدد طبيعة العلاقة بين الناس، فعندما تضيق الرؤية وتركز على القضايا المختلف فيها ينشب الصراع والنزاع وتحل القطيعة والهجر، أما عندما يكون التركيز على ما يجمع والتعاون عليه ينجح الناس في تجاوز الخلاف والتعايش القائم على احترام وجهات النظر.

4. الحذر في التعاطي مع الشائعات: تعتبر الشائعات من التحديات التي تواجه المجتمع المسلم منذ نشأته فقد عمد المنافقون ومن وراءهم يهود المدينة إلى إثارة الشائعات واستخدامها كسلاح للحد من قوة المسلمين وإرباك صفوفهم،[1] وكان أشدها ما جرى في حادثة الإفك الأثيمة التي نالت من عرض المصطفى صلى الله عليه وسلم، وخاض فيها المنافقون واستدرج فيها بعض المؤمنين عن جهل، وفي أيامنا، يتعاظم خطر الشائعات لسهولة نقلها عبر مواقع الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي، وأصبحت سلاحاً للنيل من أعراض الناس وإلصاق التهم بالأبرياء والزج بهم في السجون، وتأجيج الصراعات النزاعات العرقية والطائفية. والأخطر من ذلك أن الشائعات لم تعد عفوية ارتجالية، بل أصبح لها أهداف دينية وطائفية تقوم بتنفيذها قطاعات متخصصة في مجال الإعلام وتشرف عليها وتتبناها حكومات ومخابرات إقليمية ودولية.

5. التثبت والتبين: من المبادئ السامية في الشريعة الإسلامية مبدأ التثبت وعدم الأخذ بما يقال أو يسمع بدون تحر وتحقق من صحة النقل قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (Al-Hujarat, 49: 6). يقول السعدي رحمه الله تعالى: من الغلط الفاحش الخَطِر؛ قبول قول الناس بعضِهم في بعض، ثم يبني عليه السامع حُباً وبغضاً ومدحاً وذماً فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة (Al-Saadi, 2004). فكم من أسر تهدم بنيانها بالطلاق. وكم من هجر وقطيعة فرقت بين الأقارب بسبب وشايات وأباطيل تناقلها الناس بغير وعي.

6. احترام الخصوصيات: احترام الخصوصية من الآداب الإسلامية الرفيعة التي حثت عليها الشريعة الإسلامية، ووضعت لها سياجاً منيعاً من القيم والتعاليم والأحكام الصارمة، وحرم الاطلاع عليها أو كشفها تحت أية دعوى أو مبرر، ومنازعة الإنسان لهذه الخصوصية تعد سبباً لانزعاجه، بل إن البعض يرى ذلك تعد على شخصه، فربما تفشل العلاقات وتحدث القطيعة، لذلك شرع الله الاستئذان في الدخول إلى البيوت وأماكن الخلوة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (Al-Nur, 24: 27). في هذا تأكيد لحرمة

1- ومن ذلك ما أشيع بعد الهجرة أن المسلمين لا ينجبون، ومنها أن المسلمين أضعفتهم حمى يثرب.

البيوت على غير أهلها، فالدخول المفاجئ يؤذي أهل البيت وربما كشف عورتهم، فلا بد من الاستئذان أي طلب الإذن بالدخول ثم الاستئناس وهو أن يأنس منهم رضا وقبولا، فإذا أحس غير ذلك فلينصرف حفظاً للود والأخوة ولا يضطرهم إلى ما يحرجهم. وكذلك نظم الأمر داخل الأسرة الواحدة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ (Al-Nur, 24: 58). وفي غياب هذا الأدب تشهد العلاقات الأسرية والاجتماعية تنافرا ونزاعات لا حصر لها وما هو معلوم أن الأمر يصبح أكثر حساسية إذا تعلق بخصوصية الدول والشركات والهيئات، فالخصوصية والشأن الداخلي خط أحمر يعتبر المساس به تعد وجرم أخلاقي وقانوني، وربما تحدث القطيعة بين الدول فيطرد السفراء وتُلغى العلاقات بين البلدان نتيجة لهذا النوع من التعدي.

الفرع الثاني: آلية التعامل مع الهجر

التهاجر عملية تفاعلية بين أكثر من طرف قد يشترك الطرفان في حدوثه كما أنه قد يكون اعتداءً وظلماً من طرف واحد فكيف يتعامل المسلم مع هذه الحالة، ومن جهة أخرى ما هو موقف المجتمع المسلم من قضايا الهجر والقطيعة وما الدور الذي ينبغي يضطلع به وهذا ما سيتم التركيز عليه في هذا المبحث:

أولاً: التعامل على المستوى الشخصي

قد يقع المسلم في دائرة الهجر من غير أن يكون له اختيار فيه، وكثيراً ما يقع الهجر من طرف ويبقى الطرف الثاني في حالة الدفاع ولا بد من إيضاح آلية للتعامل مع هذه الحالة من خلال اقتراح بعض الإجراءات لتقليل أثر الهجر والحد من استفحال العداوة كالآتي:

1. عدم التعامل بالمثل. الأصل حق أن للمسلم الحق في رد الظلم عن نفسه وأباح له الشرع ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (Al-Baqarah, 2: 194). ولكن الحياة تفرض ضرورة المخالطة مع أنواع مختلفة وأنماط متباينة من الناس، وخلال ذلك يتعرض للإساءة بقصد أو بغير قصد، فلو تخيلنا أن كل إساءة ستُقابَل بمثلها لتحولت المجتمعات إلى ما يشبه الغابات. لذلك شرع الله العفو وجعل فيه الأفضلية فقال تعالى:﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (Al-Syu'ara, 26: 34). فعدم التعامل بالمثل وعدم رد الخصومة بالخصومة يوقف عجلة الخلاف ويزيد من احتمال فرص السلام والتآلف.

2. الرد بالتي هي أحسن. هذه الخطوة هي متممة لما قبلها؛ فالرد بالتي هي أحسن يربي المسلم نفسه على الصبر والتحمل والفوز بأجر العفو، ويقيم الحجة على الطرف الآخر فقد جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة –رضي الله تعالى عنه– أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلُم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: لَئِنْ كُنْتَ كمَا قُلْت فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الملَّ، وَلا يَزَالُ معكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلك (Muslim, 2008). معنَاه

إِنَّك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم (Al-Nawawi, 2001). ومن جهة أخرى رد السيئة بالحسنة له تأثير في بعث مشاعر الندم والاحترام من قبل المعتدي، وربما يعقب البغض حب، والعداوة صداقة كما قال الله سبحانه تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (Al-Fussilat, 41: 34).

ثانياً: التعامل مع الهجر على المستوى الجماعي.

هنا يأتي دور المجتمع من قضايا الهجر والنزاع والقطيعة، فالمجتمع يمكن أن يساهم بشكل إيجابي في التقريب والمصالحة، من خلال الوسائل الآتية:

1. استيعاب الخلاف. المقصود بالاستيعاب هنا أن يتعامل مع النزاع على أنه ممكن الحل مها بلغت شدته واستعصت أسبابه. وكلما كانت المبادرة إلى الحل أسرع كانت السيطرة عليه أسهل، فالخلاف طبيعة بشرية والغضب عارض، وعد الخصومة نهاية العلاقات خطأ، فالله سبحانه يبين أن الخلاف قد يقع بين المؤمنين ويصل حد الاقتتال ولكنه لا يخرجهم من صفة الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (Al-Hujarat, 49: 5). فسماهم مؤمنين رغم اقتتالهم فهذا المنحى سوف يساعد الأمة الإسلامية في تجاوز الكثير من الخلافات المستعصية التي يعتبرها البعض مصيرية، وكذلك على المستوى الشخصي قد يتخيل المسلم أن ما في قلبه من غل العداوة يستحيل تجاوزه ولكنه ينتهي عند أول خطوة بتجاه المصالحة فالبغض كيد من الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (Al-Nisa, 4: 76). وأمرنا الله سبحانه أن نتقصد في العداوة حتى مع الكفار لاحتمال تقلب الوضع وتغير الأمور قال تعالى: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (Al-Mumtahanah, 60: 7). فكم رأينا من نزاع انتهى بصداقة، وكم خصومة تحولت إلى علاقة ود وإخاء. فالله هو مقلب القلوب وهو على كل شيء قدير.

2. إزالة أسباب التوتر: لا تستقر أي علاقة موترة مادامت أسبابها قائمة، فالجهد ينبغي أن ينصب أولاً على دراسة أسباب التوتر بموضوعية وتجرد، ثم السعي إلى إيجاد الحلول المناسبة لها بما يرضى الطرفين، أما الاكتفاء بالتهدئة المؤقتة فعادة ما يشب الخلاف لأتفه الأسباب وينفجر الوضع من جديد. فالنزاع والهجر إنما هو في الحقيقة عارض لسوء فهم ولأسباب قد تكون خفية، والاكتفاء بمعالجة العرض لا يغني شيئا، وقد علمنا النبي صلى الله وسلم آلية مهمة في عملية الإصلاح طويل الأمد فقد جاء في الحديث: عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: يَا كَعْبُ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُمْ فَاقْضِهِ (Al-Bukhari, 447) ننظر هنا أنه لم ينظر في مظاهر المشكلة، بل تعامل مع أساسها وأزال سبب التوتر وهو الدين المتعثر، فطالب من الدائن التنازل عن جزء منه ليتمكن المدين من قضائه، وفي بعض الأوقات قد تستخدم وسائل أكثر حدة كإنهاء بعض العلاقات التي يستحيل معها التوافق مثل حالة الطلاق أو الخلع فقد يكون هو الحل الأخير لإزالة الخلافات المستمرة بين

الزوجين ويصل الزوجان إلى طريق مسدود لاستحالة التوافق بينهم. ال تعالى: ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ﴾ (Al-Baqarah, 2: 129).

3. تفعيل مبدأ الصلح: الصلح هو ما توصَّل به إلى رفع النزاع، وقطع الخصومة، وهو جهد مجتمعي يهدف إلى إعادة التوافق بين المؤمنين فقد بين القرآن أن الصلح هو أفضل وسائل لمْ الشمل وتوحيد الكلمة فقال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (Al-Nisa, 4: 128). ثم حث على فعله والسعي إلى تطبيقة في حل الخلافات فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (Al-Hujarat, 49: 10). وحتى يؤتي الصلح نتائجه ويكتب له الاستمرارية فلابد من تهيئة الظروف قبله وهو ما أشرنا إليه في الخطوة السابقة من إزالة أسباب التواتر.

4. الوقوف ضد الطرف المعتدي: هذه الخطوة تأتي بعد تعثر الصلح ووجود التعنت والبغي من أحد المتخاصمين، عندها لا يمكن أن يقف المجتمع موقف المتفرج لما يحدث بلابد أن يكون مشاركة في كسرة شوكة الباغي وإعادته إلى جادة الصواب، قال تعالى: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (Al-Hujarat, 49: 10). فالمسلم لابد أن يكون له مشاركة إيجابية في إصلاح المجتمع من خلال فك الخصومات وردع المعتدي وإعانة المظلوم.

الطلب الثالث: واقع التهاجر في العالم الإسلامي

الفرع الأول: التهاجر الديني والعقدي

أسوأ النزاعات ما يكون أساسها ديني وعقدي إذا أنها تعطي البعض دافعاً للبغي والظلم باسم الدين، ، ولقد حفظ الله دين الإسلام وأرسى معالمه وأصوله من خلال حفظه للقرآن الكريم، ومع هذا دب الخلاف الديني بين المسلمين فالجماعات الدينية متنوعة الاهتمامات والخلاف القائم بينها يتجه أحياناً إلى الأصول والثوابت كما هو الحال في الخلاف القائم في المجال العقدي، وبعض الخلاف يتجه إلى الفروع والوسائل فقط بحيث يتفق الجميع على الأصول الثابتة للدين كالخلاف بين المذاهب الفقهية أو الجماعات الدعوية، وهذا النوع من الخلاف لا يمثل خطراً من حيث الأساس، بل الخطر فيما يرافقه من تعصب وإنكار للمخالف، وهو ما نعيشه هذه الأيام حيث أصبح الخلاف في الفروع والاجتهادات سبباً للفرقة والتهاجر بين الكثير من الطوائف والجماعات ومن أبرز صور التهاجر ما يلي:

ثانياً: التكفير والتبديع: انتشر في أوساط المسلمين ما يسمى بمصطلح "المبتدع" والمقصود كما يعرفه ابن حجر بقوله: المبتدع هو من اعتقد شيئاً مما يخالف أهل السنة والجماعة (Ibn Hajar al-Asqalani, 1998). والمصطلح له أهميته في المجال العلم الشرعي إلا إنه استخدم بشكل تعسفي ضد المخالف في الرأي وبالغ فيه البعض، وقالوا بكفر المبتدع بغير ضوابط شرعية، وأجازوا قطعه وحلت بذلك الفوضى وأصبح التكفير في متناول الجميع.

ISSN: 2716-6899 | E: ISSN: 2716-6902
http://devojs.usas.edu.my/altakamul/index.php/altakmulfiles

ثالثاً: تحريم اتباع الطوائف الأخرى: امتداداً للفقرة السابقة فقد تجاوز الأمر أن يُحكم على جماعات وكيانات بكاملها بالكفر والخروج عن الملة، فالجماعات الإسلامية الموجودة في الواقع اليوم تختلف في توجهاتها وأيدولوجياتها، والخلاف فيما بينها قد يكون مسوغاً في الفروع والاجتهادات، إلا أن الأهواء والمصالح تستدعي المبالغة في الخصومة والدعوة إلى مقاطعة الجماعات والطوائف وتحريم اتباعها. هذا الواقع خلق عداء مستحكما بين جماهير كبيرة من الأتباع والأنصار، وأشعل الفرقة والشقاق في كل بيت؛ فيقاطع الأخ أخاه، ويهجر القريب قريبه بدوافع الانتماء في مخالفة صريحة لمنهج الإسلام ومقاصده في التوافق والوحدة. ونشير هنا إلى أنه قد يكون هناك انحراف كبير عند البعض قد يصل إلى مخالفة الأصول المتفق عليها وتستدعي موقفاً متشدداً لزجره أو تقليل شره وتندرج هذه المقاطعة تحت الهجر الإيجابي وفق شروطه وضوابطه.

الفرع الثاني: التهاجر السياسي

الواقع السياسي المعاصر بين الدول الإسلامية يعاني من أزمات متعددة فهو في حالة من التفرق والتمزق لم يشهد لها مثيل في تاريخ المسلمين، علاقات متواترة ومكائد خفية وتواطؤ مع الأعداء والطامعين في تخريب البلاد الإسلامية، وما شهدت الساحة العربية في السنوات الأخيرة أظهر حجم الخلاف والقطيعة بين تلك الأنظمة ومن أبرز صور التهاجر بينهم ما يلي:

أولاً: قطع العلاقات الدبلوماسية: الدبلوماسية في المصطلحات المعاصرة تعني تمثيل العلاقة على مستوى الدول، وهي مجموعة من المفاهيم والقواعد والإجراءات التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية بهدف خدمة المصالح الأمنية والاقتصادية والسياسات لكل دولة (Al-Kayyali, 2003). والدول الإسلامية تتعامل فيما بينها ضمن هذا الإطار، بالإضافة إلى رابطة العالم الإسلامي. وعندما يحدث الخلاف السياسي بين الدول تسارع بعضها إلى قطع تلك العلاقة وسحب السفراء والممثلين لها، ويعد هذا في العرف الدولي مرحلة خطيرة من النزاع والخلاف، أما في التشريع الإسلامي فهو من الهجر المحرم شرعاً لما في ذلك من ضرر كبير على مواطني الدول وضياع مصالح الناس وما يستلزمه من تفريق كلمة المسلمين وإضعاف صفهم.

ثانياً: منع السفر من إلى والبلدان الإسلامية. التنقل حق مشروع للإنسان وللمسلم حرية اختيار مكان عيشه والهجرة إلى إي مكان يريد وهو حق كفله الله سبحانه للإنسان من حيث المبدأ يقول الله سبحانه: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (Al-Ankabut, 29: 56). وإذا ما كان التنقل في حدود الدولة المسلمة فيزداد الأمر سعة؛ بل يكون واجباً ومندوباً في حال إذا كان الانتقال بدافع الحفاظ على الدين أو الفرار من الظلم والطغيان. فمنع هذا الحق وإغلاق الأبواب أمام المسلمين يعتبر تعد وظلم ولا سيما إذا لم يكن له أسباب ومبررات. وفي الوقت التي تسارع فيه الدول المتقدمة إنسانياً بتسهيل السفر والتنقل بين مواطنيها كما هو الحال في الاتحاد الأوربي، تسارع الدول الإسلامية إلى التشديد في المنع من السفر إليها، وأصبح الملايين من المسلمين لا يحق لهم الدخول للكثير من الدول الإسلامية، وبالغ البعض بعدم السماح لهم بالدخول المؤقت (الترانزيت) فيبقوا في صالة المطارات لأيام وليال فهذا يعد من القطيعة والهجران والله المستعان.

ثالثاً: التحالف مع الأعداء. التحالفات السياسية من الأعراف السائدة في العلاقات الدولية ومظهر مهم للقوة والوحدة ومن المؤسف أن معظم دول العالم الإسلامي تركت التحالف مع بعضها وسارعت في مد جسور التواصل مع غير المسلمين وأدارت ظهرها لبعضها، ففي الوقت الذي يتم فيه تطبيع العلاقات مع اليهود والدول الداعمة لهم؛ تقطع العلاقات مع الأخوة والجيران، والأشد من ذلك هو تحالف الأنظمة الحاكمة مع الأعداء ضد شعوبهم كما هو الحاصل في كثير من البلدان العربية والإسلامية. كما تلجأ بعض الدول للعمل المخابراتي، فتتخابر مع أعداء المسلمين من اليهود النصارى وتعمل معهم سراً من أجل إجهاض المشروع الإسلامي الذي يرفض الاستبداد وينادي بالحرية والمساواة.

الفرع الثالث: التهاجر الاقتصادي

الأصل في العلاقة بين المسلمين هي التعاطف والإحسان على بعضهم البعض يقول النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ كان معه فضْل ظهْر، فلْيعُدْ بهِ علَى من لا ظَهْر له، ومنْ كان له فضْل منْ زادٍ، فلْيعُد به على من لا زاد له (H.R. Muslim, 3361). والملاحظ في أيامنا أن الاقتصاد أصبح تابعا للسياسية فمتى حدث الاختلاف السياسي تبعه التقاطع في الاقتصادي كوسيلة للضغط، فالاقتصاد في العصر الحديث أداة مهمة من أدوات الصراع والحروب، وللأسف أن بعض الدول الإسلامية تمارسه ضد بعضها، بدون مراعاة لحرمة الأخوة الإسلامية ومبادئ الإسلام الحنيف وتمارس الضغوط والعقوبات الاقتصادية على بعضها ويتجلى ذلك من خلال الصور الآتية:

أولاً: فرض الحصار: بإغلاق المنافذ البرية والبحرية والجوية لدخول المواد الغذائية للناس سواء كانوا في دول مستقلة أو مناطق داخل الدول أو من خلال رفع رسوم الجمارك تعتبر جريمة محرمة شرعاً، فلا يجوز التسبب في تجويع المسلمين تحت مبرر التصرف بالحدود الخاصة. وما نراه اليوم من فرض حصار جائر على قطاع غزة وتجويع متعمد من قبل الاحتلال الإسرائيلي، يدل بوضوح على حجم المأساة والقطيعة الحاصلة بين المسلمين، فإغلاق المنافذ والمعابر أمام دخول البضائع ومستلزمات الحياة، ومنع المرضى من السفر للعلاج وتعطيل مصالح الناس تعد جريمة في حق الناس وقتلا لهم، ومن فعل هذا فإثمه عظيم ووزره جلل، وأي معصية أعظم –بعد الشرك بالله تعالى– من معصية قتل المسلم لأخيه، عبر تجويعه ومنع الغذاء والدواء وأسباب الحياة عنه (al-Ittihad al-Alami li ulama' al-Muslimeen, 2017).

ثانياً: طرد العمالة. العمالة مصدر من مصادر الاقتصاد المحلي، فهي تمثل عصب الحياة لغالبية الأسر في المجتمعات الإسلامية. وأصبحت هذه القضية تمثل ورقة ضغط في أيدي الحكومات تستخدم في تحقيق المصالح السياسية، والملاحظ اليوم أن الكثير من الدول الإسلامية الغنية تستغني عن العمالة القادمة من الدول المسلمة وتضيق عليهم وتشير المعطيات إلى أن أكثر من مليون عامل فقدوا وظائفهم في أقل من عامين. وتفيد آخر معطيات الهيئة العامة للإحصاء في إحدى الدول العربية أن عدد العاملين الأجانب هناك تراجع خلال الربع الثالث من العام الماضي 2018 لوحده بأكثر من 315 ألف مقارنة بالربع الذي سبقه من نفس العام، أي أن عدد المغادرين والمطرودين زاد على 100 ألف شهريا خلال الفترة

المذكورة ويزيد الضغط على الباقين منهم بالضرائب وارتفاع تكاليف المعيشة، إضافة إلى فرض رسوم سنوية عليهم وعلى أفراد عائلاتهم (DW, 2019).

خاتمة

من خلال المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدناه في هذا البحث، تبين لنا أن الهجر ينبع من دوافع شخصية سلبية، ويمكن أن يكون الهجر أيضاً نتيجة لأسباب خارجية تؤثر على الأفراد والمجتمعات. وقد يكون ناتجا عن اختلال قيمي داخلي أو عوامل خارجية تؤدي إلى تفشي الخلافات بين المسلمين، كما تبين لنا الحاجة الملحة لتفعيل الوسائل الشرعية والأساليب التربوية التي من شأنها أن تسهم في تقليل الخلافات والحد من آثار التهجر السلبية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا في السعي نحو الإصلاح والعدل، وأن يهدينا إلى السبيل القويم لتحقيق الخير والبركة في مجتمعاتنا الإسلامية.

نتائج البحث:

1. الهجر من أعظم المخاطر التي تواجه وحدة المسلمين، وتعمل على تمزيق كلمتهم.
2. للهجر بواعث وأسباب بعضها شخصية متعلقة بطباع الأشخاص وأخلاقهم، كالحسد والجهل والطمع ونزعة التسلط، وأخرى خارجية كالتعصب المذهبي والطائفي، وقد يكون بدسائس الأعداء لتفريق كلمة المسلمين، واستهداف وحدة المسلمين.
3. ضرورة التعامل مع حالة الهجر من خلال الوسائل الشرعية، على المستوى الشخصي بالدفع بالتي هي أحسن، وعدم التعامل بالمثل، والعفو. وعلى المستوي الجماعي بالوقوف ضد المعتدي، ومناصرة المظلوم والسعي في الصلح، وإصلاح ذات البين، وذلك من خلال تفعيل مبدأ الحوار والبعد عن مواقع الخلاف.
4. التهاجر في الواقع المعاصر لا يقتصر على الجانب الاجتماعي فقط بل يتعداه إلى الجانب السياسي والاقتصادي والاعلامي حتى وإن أخذ أشكالاً مختلفة إلا أنه في الحقيقة من قبل التهاجر والتقاطع الممنوع.

توصيات البحث:

1. بناء جسور التواصل والتفاهم بين المسلمين وتعزيز قيم التسامح والرحمة، ويجب أن يكون هدفًا أساسيًا في مسعى الأمة نحو وحدتها واستقرارها.
2. وضع خارطة طريق للعمل على إعادة اللحمة إلى المجتمع المسلم، وتوجيه الجهود نحو معالجة أسباب التهاجر وتطبيق القيم الإسلامية في تعاملاتنا اليومية.

3. العمل لتحقيق الأمل في إرساء دعائم وحدة الأمة الإسلامية، فبالتعاون والوعي يمكننا التغلب على الفجوات التي تعصف بمجتمعنا وتعزيز قيم المحبة والإخاء التي أمرنا بها ديننا الحنيف.

References

Al-Adawy, Mustafa. (2012). *Efsah al-Salam*. Al-Awlaqah. https://www.alukah.net/social

Al-Asbahani, al-Hussein Muhammad. (1971). *Mufradat Alfaz al-Qur'an*. Dar al-Kutub.

Al-Ayni, Badr al-Din Abu Muhammad. (2004). *Al-Umdah al-Qari fi Sharh Sahih al-Bukhari*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Bayhaqi, A. I. (1990). *Al-Sunan al-Kubra*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Bukhari, M. I. (1965). *Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar Min Umur Rasul Allah (Sahih Al-Bukhari)*. Al-Amiriya.

Al-Haddad, Mishaal. (2013). *Al-Ta'assub Ta'reefuhu wa Anwa'uhu wa Adraaruhu wa Hukmuh*.

Al-Hanbali, Ibn Rajab. (2008). *Jami' al-'Ulum wa al-Hikam*. Dar Ibn Kathir.

Al-Kayyali, Abdul Wahab. (2003). *Al-Mawsu'ah al-Siyasiyyah*. Arab Institute for Publishing.

Al-Munawi, Muhammad Abdul Raouf. (2001). *Fayd al-Qadir Sharh al-Jami' al-Saghir*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Al-Nawawi, Muhyiddin Yahya. (2001). *Sharh Sahih Muslim*. Dar Ihya al-Turath.

Al-Saadi, Abdul Rahman Nasser. (2004). *Al-Riyad al-Nadhirah wa al-Hada'iq al-Nayyirah*. Zahirah Dar al-Minhaj.

DW. (2019, February). *About the deportation of migrant workers from Saudi Arabia*. https://www.dw.com/cda/ar

Ibn Al-Qayyim, Al-Guzyah. (1995). *Tafsir Ibn al-Qayyim*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Ibn Battal, Ali Khalaf Abd al-Malik. (1998). *Sharh Sahih al-Bukhari*. Rashid Library.

Ibn Faris, Ahmad. (1979). *Mu'jam Muqayyis al-Lughah*. Dar al-Fikr.

Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmad. (1998). *Fath al-Bari fi Sharh Sahih al-Bukhari*. Beirut: Dar al-Fikr.

Ibn Hanbal, Ahmad. (1997). *Musnad Ahmad Ibn Hanbal*. Dar al-Fikr.

Muslim, al-Ḥajjaj al-Qushayri al-Nisaburi. (1969). *Ṣaḥiḥ Muslim*. Maṭba‘ah ‘Isa al-Babiy.